

رأي حكيم شرقي

من رسالة باللغة الفارسية ارسلها السيد جمال الدين الافغانى الى السيد الحاج حسن مستان الداغستاني في ١٥ ديسمبر ١٨٨١ ولم تزل محفوظة عند صهر السيد الداغستاني العلامة الفارسي المرزا عبد المهدي فلاح الاصفهاني من اعيان الجالية الايرانية في الاسكندرية وقد اوصاهُ بنشرها بعد وفاته

صديقي العزيز السيد الحاج حسن مستان الداغستاني المحترم

اطلعت على رسالتكم المؤرخة في ١٥ نوفمبر وذكركم شيئاً عن احوال ايران الحاضرة . ظننت ان السبب في حرمان امة ايران ودولتها من الرقي الحاضر هو تعرض العلماء لادارة البلاد وسياستها . وقد طلبتم رأي هذا العاجز في هذا الموضوع فاعرض رأيي الخاص وارجو منكم طمأنينة

ان ما ظننتوه في علماء ايران يمد عن دائرة العدل والحق . فلا ينبغي انتم متى كانت السلطة مطلقة مقتدرة فرجال الدين لا يشطبون ان يمنعوا السلطة القادرة عن اجراء ما تريد . خصوصاً في العصر الحاضر ولا يارى قوة تمنع الحكومة عن اجراء اوامرها في ترقية الامم متى ارادت دولة ايران انشاء سكة حديدية في بلادها وقاومها علماء الدين ومنعوها من تحقيق هذه الامنية النافعة للدولة والوطن

متى ارادت الدولة ان تحيي المدارس وتنشئ دور العلم لتهديب الناشئة في البلاد وتعمم التعليم واطفأ علماء ايران الثور الذي ينير الازهان ويطرد ظلام الجباله من بين الناس فائلين ان العلم الصحيح مفاير لشرع الشريف

متى ارادت الدولة ان تقيم العدل بين الرعية وتنشئ المحاكم العديلية وتوجد مجالس الشورى حتى تجري الاحكام كلها بالعدل وحسب حاجات العصر الحاضر وقام العلماء في وجهها فخاروا العدل والقانون

متى ارادت الدولة ان تنشئ مستشفيات حديثة وتمدها لعناية بالمرضى وتوجد فيها كل ما يلزم لتخفيف آلام الناس حسب مقتضى الفن وتقيم ملاجئ العجزة ودوراً للايتام واغناط العلماء من هذه الاعمال الخيرية الجديدة وقالوا ان هذا الجديد بدعة وكل بدعة الى الملاك متى ارادت الدولة ان تزيد قوتها وتنظم جنودها وتوصلهم الى مائتي الف وتلهم

بالتصالح الحديث للدفاع عن البلاد حسب عم الحرب الجديد وحسب مطالب الزمن الحاضر وكان العلماء مخالفتين لها

أما ما ذكرتموه عن العلماء من انهم اعمروا ما يجب عليهم من حيث التعليم بالشرع الشريف ونشر الصلاح والآداب واشتغلوا بما يفهمهم ويجبر المنافع الى ذواتهم في كل ايران وانهم كانوا الباعث على القحط والتلاء الحاضر وهلاك الوف من عباد الله فيه بعض الصواب لكن هذا العمل الضار لم يكن عاماً بل انحصر في البعض من الذين اجتهدوا حتى حصروا المنافع كلها في انفسهم وبهذا السبيل المشؤم حصلوا بطريق غير مشروع على امتلاك نصف بلاد اذربايجان وعلمهم هذا لا يعم كل علماء ايران الذين قام منهم كثيرون خدموا الحق والفضيلة وهم لا يملكون الا القليل من حطام الدنيا

ولا يعني ان هذا العمل المذموم كان معمولاً به في كل زمان ومكان ولكن حسن الادارة وقوة العدل وعم الحكام واخلاصهم كل ذلك مكن الحكام من منع الاحتكار ونشر العدل والمساواة بين الناس وتسهيل وسائل الانتقال

ان الدولة الحكيمة العادلة كالكلاب الحنون للامة تمنع عنها كل ظلم وحيث من الداخل ومن الخارج ايضاً . ومن اقدس الواجبات على ارباب الحكم منع الظلم عن كل افراد الزعية . واذا كانت الدولة تهمل هذه الحال تكون للظلم مروجة وللمجور والاعتساف ناضرة . وما نشاهده الآن في ايران يريد ما اقول فلا يعين حاكم لاقليم الا بعد ما يبتذل مبلغاً كبيراً للحصول على المنصب واذا ناله جعل فتنحة اعماله عظم العباد ونهب البلاد وجلب العار على الدولة والامة ايضاً . فمسألة فتنحة الاكراد وما جرّت على البلاد من الخراب والدمار كان الباعث عليها الظلم

يظن انتم في ايران ان عمل الحاكم من اسهل الاعمال ويحبون ان كل فتي مسبور يقدر ان يكون حاكماً في الولايات والاقاليم . ان اسباب المعيان الحاضر لكل امرء رأي فيه بعضهم يتهم الروس ويقول انهم اضرمت نار الفتنه وطمعوا الاكراد حتى عصوا على الشاه . وغيرهم يزعم ان العثمانية هي العاملة لان الاكراد لا يقومون على ذلك من تلقاء انفسهم ولكنني اجسر واقول ان اليد التي تحرك الفتنه في البلاد وتشر الفساد هي سلطة متصلة من المظالم اوجدتها يد الظلم وكان الواجب ان لا ندع لاعدائنا الاقوياء سبيلاً علينا . وعلى كل حال لا بد من اجراء العدل والمساواة بين كل طبقات الامة والأي بي باب الوطن مفتوحاً على مصراعيه ليدخل العدو . ولوعرفت الدولة العثمانية بالعدل

والانصاف في البومنه والمهرسك والبنغار لما بدا ما بدا من العصيان وسفك الدماء في تلك الشعوب السلافية وليعت تلك البلاد جزءاً من السلطنة العثمانية ولتجا العالم من ويلات الحرب بين الترك والروس سنة ١٨٢٧ . ان التاريخ الصحيح يثبت هذا الرأي الصحيح . فحيث يكون الظلم وعدم السلام لا يبقى للدولة اثره ان الدولة بالعدل تقوم والامة بالعلم تحيا ساحة فرنسا كلها نحو تلك مساحة ايران واربعون مليوناً من النفوس يعيشون بسعة في بلاد الفرنسيس . والرسوم التي تجبي منهم سنويًا تبلغ خمسمائة كرود طومان (الكرود نصف مليون) وايران مع كل مساحتها ليس فيها الا عشرة ملايين من النفوس وكل ما يجبي منها بسعة كرود طومان فما سبب ذلك؟ ان سبب العمران في فرنسا بالعدل والمساواة والاخاء والحرية . وهذه كلها مفقودة في ايران

يُعلم ان من اسباب الترقى الذي عم البلاد الغربية العلم وتعميمه . وقد سعى الناس اليه من دون مساعدة الدولة الحاكمة فترقت البلاد وزاد مجد الدولة وغناها وترقت الصنائع والنفوس وزادت ثروة الافراد والامة وصححت الاحوال بالعمل بالقانون . هذا هو الطريق السوي المؤدي الى الارتقاء والمجد

ان رجال الدولة في ايران بارعون في السياسة وصناعة الكلام لكن علمهم بلا عمل ولو ان جزءاً من مائة جزء من القوى التي يبذلونها في الاقوال يبذلونها في الاعمال لكانت ايران في مصاف الدول الكبرى رقيًا وغنىً ومجداً وقوةً . نأسف كثيراً اذا رأينا عظيمًا ينفق الوقت والمال لاكتساب شهرة لا تنفع منها ويهمل الاعمال النافعة التي تعود باخيراً والتفلاح على الدولة وتعود عليه باخيراً والثواب في الآخرة والذكر الصالح الخالد في تاريخ البلاد من الاسباب الداعية الى الترقى في الغرب حرية المطبوعات فهذه الحرية تنشر محاسن الحكم ومساوئهم بلا استثناء . فدور الصفات العالية يطلبون المزيد في اقتناء الاعمال والابتلى بالفساد وحب الذات والكسب يضطر الى ترك الاعمال المفصرة . ولا احد يعترض على حرية النشر الا متى كان ضد الحق والحقيقة او كان اقترافاً ويهتج المعتدى عليه حينئذ ان يطلب حقاً المظوم في المحكمة امام القانون . لكن جرائمنا في ايران على ضد ذلك تماماً نقول عن الحسن حسناً وعن التبييع حسناً لا فرق عندها ولا تمييز بين الحسن والتبييع وهي بالعلم مشحونة والداعي الى هذه الحال لو كراه الحكم والامراء وصاحب الجريدة مظلوم لان هذه الحال لا تصلح لحياة الجرائد التي يجب ان تنشر الامور النافعة والآراء الصائبة والحوادث الحقة

في زمن فتنة اذربايجان كان القحط في المملكة منتشراً والظلم سائداً فعصى الكرد وعم الاضطراب وامسى الناس لي حيرة وخوف لا يعطون المصير ومع كل هذه البلايا كانت جرائد ايران تنشر في اعمدها ان ولاية تبريز ولحققتها في احسن حال والامن سائد بلجتهاد المأمورين خدام -حجرة الاقدس العالي والاهافي مشغولون بالدعاء لذات صاحب البركات العالي الاقدس المامايون (شاهنشاهي) تكن ارواحنا فداه.

وليس لسراء ايران في البلاد الاجنبية فائدة للامة. قد يقول البعض ان السيرة ملك وعين الملك وسمعة فينبغي بكل ما يسمعه ويراه باخلاص وامانة. ولكن اين رجال الدولة الذين يطبون ذلك من السراء وينظرون في تقاريرهم نظر المدقق الحكيم. لايران خمماية رتبة من قنصل ورئيس قنصل في بلدان غير مهمة وكل هذا الجند الكبير صامت لا يرفع تقريراً ولا يبيدي ملاحظة تجارية او عمرانية او عليية او سياسية لوزارة الخارجية في طهران ولا الوزارة تألم عن شيء فلا تقع منهم للدولة والامة واكثرهم لا يعلم شيئاً عن نظام السياسة

انا نأسف لحال الايرانيين الذين ساءت لهم الظلم الي هجران وطنهم وطلب وطن آخر فيه يرتقون ثم يتبعهم الجور من ممثلي حكومتهم الظالمين وباليث الذكري تنفع انها انما تبعث على الحزن والالم

يا صديقي المحترم ان ما ما ذكرته الآن في هذه الرسالة هو مثال لحالة ايران العمومية الحاضرة وقبوا عليه ما لم يذكر فيظهر لكم ان طقة كل مصائب بلادنا الظلم لا سواه والدولة بظلمها الرعية تظلم نفسها والعلاج لهذا الداء تميم المدارس ونشر التعليم انصحيح والتهديب العالي فيبطل الظلم ويسود العدل وتصلح الاخلاق. وهذا الاصلاح يطلب همه محبي الوطن وتقاتلهم فتنتشر المعارف في كل بلاد الفرس وتبهر الامة من اسباب الهلاك والنساء ويدفعها العلم الى ساحل التجارة واذا تأخر هذا العسل المبرور فقل على دولة ايران السلام (بُعدا حافظ) حفظكم الله ٢٥ ديسمبر ١٨٨١ جمال الدين

ان مشاهير الاحرار الايرانيين اضطروا في عهد الشاه ناصر الدين وعمله الي هجر وطنهم والاتجاه الي البلاد الشرقية الاسلامية هرباً من انظار قناب بعضهم كالسيد جمال الدين بالاصفائي وهو في الحقيقة ايراني صميم من بلدة اسد اباد من ولاية همدازي ايران كما ان صديقه الفاضلاني من بلدة مراغه في ولاية تبريز بايران

عبد المهدي قلاح
الاصفهاني